مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 14 / العدد: 03 (2026)، ص: 254-264

الإنسان والبيئة في الخطاب القرآنيّ –سورة النّحل أنموذجا-

(مقاربة نقديّة بيئيّة)

Man and the Environment in the Quranic Discourse_Surah An-Nahl as a Model

(An ecocriticism approach)

ليدية بوزطين[1]،

[1] جامعة أبو القاسم سعد اللّه الجزائر 2 (الجزائر)،

مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو

ledia.bozetine@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2026/05/29 تاريخ القبول: 2026/08/21 تاريخ النشر: 2026/10/01

ملخص:

يعالج هذا المقال موضوع الإنسان والبيئة في الخطاب القرآنيّ –سورة النّحل أنموذجا- وفق مقاربة نقديّة بيئيّة. والّذي يهدف إلى إبراز دور النّقد البيئيّ في توعيّة الإنسان بحسن استغلال الموارد الطّبيعيّة في إطار عقلانيّ، وأخلاقيّ يستجيب لمبادئ الدّين الإسلاميّ.

لنتوصّل في النهاية إلى أنّ سورة النّحل جسّدت مختلف معالم النّقد البيئيّ. ما يبرهن على أنّ القرآن الكريم كان سبّاقا لطرح مفاهيم هذه النّظريّة النّقديّة وبلورتها. لتقدّم بذلك هذه الدّراسة تصوّرا ربّانيّا وبيئيّا متكاملا، قائما على الدّعوة للتّفكّر والتّدبّر في نعم اللّه وشكره عليها. وأنّ تحقيق التّوازن البيئيّ تضبطه علاقة الإنسان بطبيعته، الّتي ما انحازفيها عن مبادئ الدّين الإسلاميّ اختلّ وهلك.

كلمات مفتاحية: النّقد، البيئة، الإنسان، سورة النّحل، التّوازن.

Abstract:

This article investigates the topic of human being and the environment in the Quranic discourse Surah An-Nahl as a model through an ecocriticism approach. It aims to highlight the role of ecocriticism raising the human awareness about the exploitation of natural resources within a rational and ethical framework according to Islamic principles.

We conclude in this study that Surah An-Nahl embodied the different dimensions of ecocriticism which proves that the Quran was among the first to introduce the concepts of this critical theory and develop them. Therefore, this study introduces a full environmental and divine vision about the call for reflection upon Allah's blessings and gratitude for them. It further highlights that the environmental balance is achieved by the relationship of the human being and nature; whenever human deviates from the principles of Islam this balance becomes corrupted and destructed.

Keywords: Criticism, Environment, Man, Surah An-Nahl, Balance.

***المؤلف المرسل:** ليدية بوزطين

1. مقدمة

تمثّل سورة النّحل واحدة من سور القرآن الكريم الّتي يخبرنا فيها اللّه تعالى عن حشرة نافعة، تقدّم غذاءا شافيّا. إلى جانب نعمه الكثيرة الّتي سخّرها لعباده. فهي تعرض مختلف عناصر الطّبيعة الّتي تكشف عن نظام كونيّ متوازن، أسهمت في خلق الانسجام البيئيّ. حيث أفرزت التّحوّلات البيئيّة المعاصرة الّتي أولت بالغ الأهميّة لحماية الطّبيعة واعتبارها قضيّة انسانيّة نقدا بيئيّا يعنى بدراسة النّص في علاقته بالبيئة والإنسان، كشفا عن الطّريقة الّتي بها يمثّل الانسان والطّبيعة والكون داخل الخطاب. لذلك ارتأينا ضرورة مقاربة سورة النّحل بيئيّا، للكشف عن مختلف تمثّلات الطّبيعة فيها وعلاقتها بالإنسان لإبراز مختلف الأبعاد النّقديّة الّتي يتضمّنها النّص القرآنيّ لتأتي صياغة عنوان مقالنا ب: "**الانسان والبيئة في الخطاب القرآنيّ –مقاربة بيئيّة- (سورة النحل أنموذجا)** ولمعالجة هذا الموضوع أثرنا الإشكاليّة الآتيّة:

- كيف جسّدت سورة النّحل التّصوّر البيئيّ وكيف كشفت عن علاقة الانسان ببيئته نقديّا في الخطاب القرآنيّ؟

للإجابة عن هذه الإشكاليّة ننطلق من فرضيّة مفادها أنّ سورة النّحل فصّلت في موضوع الانسان والحيوان والنّبات ومختلف عناصر الطّبيعة على أساس بيئيّ متوازن. وتهدف هذه المداخلة إلى إبراز أنموذج مثاليّ، مقدّس، متوازن يصوّر علاقة الانسان بالطّبيعة، ركيزته عقيدة التّوحيد. ينتقد سلوك الاستنزاف في الكون. كما تبرهن على أنّ الخطاب القرآنيّ كان سبّاقا لتأسيس مفهوم نقد بيئيّ، قائم على التّوازن. يتضمّن دعوة إلى التّفكير في خالق هذه النّعم وعبادته وشكره. وهذا ما استوجب علينا الاستعانة بآليّات التّأويل لتحليل مدونتنا.

2. مفهوم النّقد البيئيّ:

لفت انتباه الباحثين في ستينيات القرن الماضي مفهوم النّقد البيئيّ، فقد ظهر هذا المصطلح في مقال "وليام روكيت" الّذي يحمل عنوان "الأدب وعلم البيئة" سنة 1978م. غير أنّ ملامح هذا المنهج النّقدي لم تظهر إلاّ في سنة 1989.

وإذا جئنا لتحديد مفهوم النّقد البيئيّ نجد بأنّه نقد سياقيّ، يعتمد على الوعي البيئيّ للأديب أو النّاقد، يعنى بقضايا البيئة، من منطلق إنسانيّ، ويرسّخ لمبدأ انتماء الانسان للطّبيعة. كما يبحث في أسئلة من قبيل: كيف مثّلت الطّبيعة في النّص الأدبيّ، لتتوسّع هذه الأسئلة لتشمل مختلف الجوانب الثّقافيّة الّتي تعنى بالأزمات البيئيّة، ومدى استجابة النّقد البيئيّ لها. كما أكّد "جرج حرارد" على أنّ أعمال النّقد البيئويّ المبكّرة اتّسمت بالاهتمام الخاص والمقتصر على الشّعر الرومانسيّ والقصص البريّة والكتابة عن الطّبيعة. إلاّ أنّ السّنوات القليلة الأخيرة شهدت تحوّلا صوب نقد بيئيّ ثقافيّ أكثر شموليّة، شمل كتبا علميّة شائعة، وأقلاما، وتلفازا، وفنّا، وعمارة، ونتاجات ثقافيّة أخرى تتناول -مثلا- الحدائق الرّئيسة، وحدائق الحيوان ومراكز التّسوّق. (جرارد، 2009، صفحة 17)

ويضيف الباحث في النّقد البيئيّ "جورج جرارد" أنّ علم البيئة الحديث أطلقت شرارته قصّة "خرافة الغدّ" من مجموعة راشيل كارسون "Rachel Carson" القصصيّة. وترجع "كارسون" المتّهم الحقيقيّ في هذه الكارثة البيئيّة هو المبيدات الحشريّة العضويّة الجديدة مثل DDT الّذي عرفه العالم بعد الحرب العالميّة الثّانيّة. وقد أثبت نجاعته في مكافحة الحشرات. إنّ "كارسون" قد جسّدت الوعي العام بمخاطر التّلوّث الناتج عن هذه المبيدات وضرورة إيجاد مواد كيماويّة بديلة أقلّ خطورة. (جرارد، النقد البيئوي، 2009، صفحة 13، 15) وهكذا تمكّن النّقد البيئيّ من استقاء مفاهيمه وتصوّراته وحتّى شرعيّته من منظّمات حماية البيئة خلال ستينيّات القرن العشرين.

لذلك شكّل النّقد البيئيّ مسارا حاسما في مجال النّقد، حيث استطاع أن يحدث تحوّلا هامّا في النقد الأدبيّ والنّقد الثّقافيّ عن البيئة. ويصبح واحدا من أبرز الإتجاهات النّقديّة الّتي تعنى بدراسة قضايا البيئة على اختلاف أشكالها في إطار علاقتها بالإنسان وترسيخ فكرة إنتمائه إلى الطّبيعة، وردم الفجوة الّتي بين الانسان وبيئته. ولاشكّ في أنّ ظهور النّقد البيئيّ يفسّر الحاجة إلى إعادة التّفكير والتّصدّي لهذه التّحدّيات الخطيرة الّتي تواجه البشريّة. وهذا ما دفع بثلة من الباحثين في مختلف المجالات وخاصّة في مجال العلوم الانسانيّة والفلسفة والأدب إلى التّفكير في إيجاد سبل لمواجهة الأزمة البيئيّة.

وبهذا نتوصّل في تعريفنا للنّقد البيئيّ، بالاستنادا على "جرج جرارد" في كتابه النّقد البيئويّ إلى أنّه «النّقد الّذي يدرس العلاقة بين الأدب والبيئة الماديّة.» (جرارد، النقد البيئوي، 2009، صفحة 15) ويتّضح لنا من خلال هذا التّعريف أنّ النّقد البيئيّ هو اتّجاه نقديّ يهتمّ بدراسة العلاقة بين الأدب والطّبيعة بمختلف عناصرها من حيوان ونبات وأرض وينابيع وهواء وقمر وسماء، وكلّ ماهو موجود فيها وتجلّياتها في النّص الأدبيّ. ولا يقف النّقد البيئيّ عند حدّ تحليل الجوانب الجماليّة لهذا النّص، بل يترصّد الكيفيّة الّتي بها مثّلت الطبيعة داخله. وماهي الصورة الّني بها مثّل الكاتب علاقة الانسان بمحيطه البيئيّ، هل هي علاقة توازن وانسجام أم علاقة صراع واستنزاف؟

3 . مبادئ النّقد البيئيّ:

وتحدّد المبادئ الاساسيّة في النّقد البيئيّ، شأنه في ذلك شأن جلّ النّظريّات، كما هو آت:

"الانسجام مع الأبديّة، الاستراتيجيّة النّقديّة شكل من أشكال المقاومة البيئيّة، ولع النّقد البيئيّ بالتّنوّع البيولوجيّ والولوج إلى المناطق المحظورة للدّفاع عمّا يرد للطّبيعة حضورها، النظرة الرومانسيّة الحالمة للطّبيعة الآمنة غير المهدّدة؛ لتعزيز إيجابيّات البيئة، الطّبيعة والحرّية، النّظرة إلى شعريّة النّص الأدبيّ وكأنّها شعريّة معرفيّة، الأنسنة البيئيّة للطّبيعة، الأنا والآخر، الخيال البيئيّ، التوحد مع البيئة ووعي إيكولوجيّ، الافتتان بالطّبيعة، التّركيز على المعنى الروحيّ وتغليبه على الماديّ، عمق المعنى الفلسفيّ..إلخ" (حافظ، 2023، صفحة 73)

يتّضح لنا جليّا أنّ هذه المبادئ تنفي كون النّقد البيئيّ يعنى بدراسة الطّبيعة في الأدب، وإنّما هو منهج نقديّ يدرس البيئة الطّبيعيّة في النّص الأدبيّ. كما يبرز العلاقة الوطيدة بين الانسان وطبيعته. يهدف إلى حماية البيئة. كما أنّه مولع بالكائنات الحيّة ويرى ضرورة الحفاظ عليها، ويسعى جاهدا إلى الكشف عن كلّ ما يحاك في الخفاء ضدّ البيئة. والعمل على زرع الوعي البيئيّ عند الانسان لضمان التّوان البيئيّ.

4. النّقد البيئيّ: بين النّص الأدبيّ والنّص القرآني:

ينطلق النّقد البيئيّ من فكرة أساسيّة مفادها أنّ الأدب جزء من الواقع البيئيّ، يؤثّر فيه ويتأثّر به. فالنّص الأدبيّ هو المرآة العاكسة للطّبيعة في اعتقادنا، تصوّر مركزيّة الانسان وسيادته على البيئة أحيانا، وتتضمّن دعوة إلى المحافظة عليها واحترامها في أحيان أخرى. وعليه فالنّقد البيئي يعمل على إيجاد القيّم البيئية المضمّنة في الخطاب الأدبيّ، والكشف عن الموقف الإيديولوجيّ الّذي يتحكّم في مسار علاقة الانسان بالبيئة. كما يولي بالغ الأهمّيّة للقضايا البيئيّة الرّاهنة كالجفاف، والتّلوث، والتّصحّر، وتغيّر المناخ، وكلّ الظواهر الطّبيعيّة وكيف تجسّدت في النّص الأدبيّ، فيزاوج بين الإبداع الأدبيّ والوعي البيئيّ.

لا ينحصر هدف النّقد البيئيّ في مجرّد تصوير البيئة في الأدب، وإنّما يسعى إلى إعادة النّظر في علاقة الانسان بالبيئة، وترسيخ مبدأ تحقيق التّوازن البيئيّ والحفاظ عليه، وهذا في إطار الدّراسات الأدبيّة والنّقديّة

الحديثة. كما أنّ "العلاقة بين النّص الأدبيّ والطّبيعة، في وعي بيئيّ مقصود، تبنى على ما يعرف بالحكمة الإيكولوجيّة، في الحفاظ على البيئة؛ لذا فإنّ ما قدّمته مبادئ النّقد البيئيّ يجسّد محاولة لفهم الوعي بحالتيه؛ الوعي الظاهر والمدوّن في الأدب وفقا لقصديّة المؤلّف، والوعي الخفيّ الّذي يتبيّنه النّاقد بالغور في أسبار النّصوص، ليبحر فيها باحثا عن المعتقدات الرّاسخة بهدف تقويمها" (حافظ، النقد البيئي ونظرية الأدب، 2023، صفحة 73).

وليست المناهج النّقديّة الحديثة حكرا على النّصوص الأدبيّة، بل لها قابليّة التّكيّف مع مختلف النّصوص. ومن بينها النّص القرآنيّ، باعتباره بنيّة خطابيّة تزخر بمختلف الصّور الطّبيعيّة، ويبرز هذا النّص علاقة وطيدة بين الانسان والبيئة، قائمة على أساس التّوازن. فالنّقد البيئيّ من أنجع المناهج النّقديّة الّتي بها يمكن استنطاق شتّى الرؤى البيئيّة الكامنة فيه. كما أنّ النّص القرآنيّ لا يقف عند حدود تصوير الطّبيعة، وإنّما يسعى إلى تأسيس رؤيّة كونيّة كافيّة ووافيّة، تعتبر عناصر الطّبيعة آية من آيات اللّه، وتتجلّى فيها قدرته في خلقه.

1.4. النّقد البيئيّ وتجلّيّاته في النّص القرآنيّ

إنّ نظرة الانسان إلى ما حوله في الطّبيعة لا تنفصل عن النّفعيّة، فهو يسعى ليستفيد من كلّ شيء في هذا الكون. فكلّ ما خلقه اللّه عزّ وجلّ خدمة لهذا الآدميّ. فاستغلّ، بل واستنزف كلّ موارد الطّبيعة، دون أن يكترث لما قد ينجرّ عنه من فرط استغلاله لها. ولعلّ هذا التّعامل الوحشيّ مع البيئة دفع ببعض الباحثين إلى الدعوة لإيقاف هذا الغزو، فشرعوا في تأسيس نظريّات من شأنها المحافظة عليها. بيد أنّ اللّه تعالى في كتابه العزيز ثمّن كلّ ما خلقه في هذا الكون، وجعل له نظاما دقيقا يضبطه، كما قاوم شتّى التّعاملات الوحشيّة تجاه الطّبيعة، فرسّخ قيّم الوعي البيئيّ وعزّزها. وثمّن الموارد الطّبيعيّة ودعا إلى التفكّر والتدبّر في خالقها وحمده وشكره على ما أنعم به على الانسان. ويتضمّن القرآن الكريم واحدة من أبرز المقاربات النّقديّة الّتي تعنى بالانسان في بيئته. فقد خلقه الله تعالى لتكريس مختلف القيّم العقائديّة والأخلاقيّة الّتي تعكس رؤيّة إلهيّة كونيّة تنظّم علاقته بالبيئة. فكانت سورة النّحل، والّتي سميت كذلك بسورة النّعم من أبرز السّور الّتي جسّدت مبادئ النّقد البيئيّ في القرآن الكريم. كما برهنت على أنّ عناصر البيئة فتحت المجال للتّفكير في قدرة اللّه ووحدانيّته. وتضمّنت دعوة لحمد اللّه وشكره على نعمه. لا إسرافها أو تبذيرها.

ومن بين الآيّات التّي ترجمت مبادئ النّقد البيئيّ، نجد على سبيل التّمثيل لا الحصر ما يلي:

- ✓ **الكون نظام ربّانيّ، بيئيّ، متكامل:**

قال اللّه تعالى: «خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ.» (الآية 03: سورة النحل.) يؤكّد اللّه تعالى في هذه الآية على أنّه خالق السّماوات والأرض بما فيهما. ف"لفظ الخلق من كم وجه يدلّ على الاحتياج إلى الخالق الحكيم" (الخالدي، 1998، صفحة 228) واللّه تعالى لمّا احتجّ على خلق السّماوات والأرض قال بعده "تعالى عمّا يشركون "والمراد أنّ "القائلين بقدم السّموات والأرض كأنّهم أثبتوا اللّه شريكا في كونه قديما أزليّا فنزه نفسه عن ذلك، وبيّن أنّه لا قديم إلاّ هو." (الخالدي، القصص القرآني، 1998، صفحة 228) فترفّع على كلّ ما أشرك به المشركين. كما تتضمّن الآية رؤيّة كونيّة لبيئة خالقها هو اللّه، جعل من التّوازن ركيزة تستند عليها الأنظمة الطّبيعيّة. وهذا ما اصطلح عليه العلم الحديث **"التّوازن البيئيّ"**. وأيّ خلل يحدثه الانسان في الطّبيعة، يؤثّر سلبا على هذا النّظام، فيختلّ التّوازن البيئيّ. كما برهنت الآية على أنّ خلق السّماوات والأرض هي آية من آيات اللّه في خلقه، وفي

قدرته. وتقرّ بأنّ الطّبيعة خلقت بالحقّ. فعلى الانسان أن يحافظ عليها ولا يستغلّها. فالنّظر إلى هذا الكون يقودنا إلى التّفكير في وحدانيّة اللّه وشكره.

بيئيّا، نستخلص من هذه الآية ثلاث مبادئ أساسيّة حكمت النّظام الرّبانيّ، والكوني تتمثّل فيما يلي:

- مبدأ الخلق: إنّ اللّه تعالى خالق السّماوات والأرض.
- مبدأ التّوازن: خلق اللّه تعالى الكون بنظام وتوازن.
- مبدأ المسؤوليّة: فعلى الانسان أن يتفكّر في آيات اللّه، ويشكره على نعمه، والحفاظ عليها دون استغلالها.

✓ **الانسان جزأ لا يتجزأ من الطّبيعة:**

قال اللّه تعالى: «خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ» (الآية 04: سورة النّحل) تشير الآية إلى الصّانع الحكيم، الّذي خلق الانسان من نطفة -قطرة صّغيرة- ثمّ صار يخاصم ويجادل. ويفسّر الرّازي بقوله: "الانسان مركّب من بدن ونفس" (الخالدي، القصص القرآني، 1998، صفحة 229) وفيها كذلك دعوة إلى الاعتراف بقدرة اللّه وفضله على عباده. وقال تعالى: «وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ » (الآية 72: سور النّحل)

أكّد الرّازي بخصوص هذه الآية أنّ هذا نوع آخر من أحوال النّاس، ذكره اللّه تعالى ليستدلّ به على وجود الإله، وليكون كذلك تنبيها على فضل اللّه على عباده بمثل هذه النعم. فهنا الله يخاطب عباده الّذين خلق لهم من نفس جنسهم أزواجا، ومن هذه الأزواج خلق الأولاد والأحفاد، كما رزق عباده بكلّ ما لذّ وطاب من خيرات الرزق. فهل يعقل أن يجحد العاقل كلّ هذه النّعم ولا يشكر اللّه ربّه ورازقه! فيشركون باللّه ويعبدون الأصنام. وقال كذلك: « وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ» (الآية78: سورة النّحل). خلق اللّه تعالى الانسان من بطن الأمّ "في مبدأ الفطرة خاليا عن معرفة الأشياء... النفس الانسانيّة لمّا كانت في أوّل الخلقة خاليّة عن المعارف والعلوم باللّه، فاللّه أعطاه هذه الحواس ليستفيد بها المعارف والعلوم (الرازي، 1981، صفحة 91) فبواسطة حاسّة السمع والبصر ينتقل الانسان من الجهل إلى العلم.

نلاحظ من خلال الآيات المذكورة أعلاه أنّها تطرّقت إلى موضوع الانسان وعلاقته بالطّبيعة. حيث فصّلت في بداية خلقه، ومن ثمّ ذكرت دورة حياته في الطّبيعة عن طريق الزّواج والتّكاثر والرّزق الطّيب الّذي سخّره اللّه له. كما أشارت إلى لحظة ميلاده ومن ثمّ نموّه واكتسابه لمختلف العلوم. إنّ اللّه تعالى يقرّ أنّ الانسان خلق طبيعيّ، مرتبط بهذا الكون، ويستحيل أن ينفصل عنه.

بيئيّا، نستخلص أنّ الانسان هو جزء حيويّ من الطّبيعة، واستمراريّته مرهونة بالزّواج والتّكاثر والغذاء. أنعمه اللّه بالعقل، وبه ميّزه عن سائر الكائنات. والسّمع والبصر لتمكّنه من إدراك الوسط الّذي يعيش فيه، ويتفاعل معه. ومن هنا نؤكّد على أنّ العلاقة بين الانسان وبيئته هي علاقة تكامل وتوازن، لا علاقة انفصال واستغلال.

✓ **تسخير الحيوانات لخدمة الانسان:**

قال اللّه تعالى: «وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ (5)وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ (6)وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ (7)» الآيات: سورة النّحل

إنّ الانسان هو الكائن الّذي فضّله الله تعالى عن سائر مخلوقاته على هذه الأرض. وسخّر له الحيوانات لخدمته، والانتفاع بها في ضروريّات حياته كالأكل، والكسوة، أو الانتفاع بها في أمور غير ضروريّة كالتّجوال والزّينة. ويرجّح المفسّرون لفظ الأنعام إلى أنّها البقر، والإبل، والماعز، والغنم. فاللّه تعالى في هذه الآية يعدّد نعمه على عباده، والّتي توّفرها له هذه الأنعام كالمشرب، والحرث، أو الانتفاع من نسلها وتعود له بأرباح ماديّة. كما ينتفع بها بالأكل أو الدفء بواسطة أوبارها وجلودها وصوفها التّي يستخرجون منها كسوتهم. وقد أكّد الفخر الرّازي في تفسيره أنّ الملبوس أكثر بقاء من المطعوم، فلهذا قدّمه عليه في الذّكر. كما أفاد بأنّ هذه المنافع الثلاثة هي المنافع الضّروريّة الحاصلة من الأنعام. أمّا المنافع الحاصلة منها غير ضروريّة، فردّها إلى أنّ وجه التجمّل بها أنّ الرّاعي إذا روحها بالعشي وسرّحها بالغداة تزيّنت عند تلك الإراحة والتسريح الأفنية، وتجاوب فيها الثغاء والرغاء، وفرحت أربابها وعظم وقعهم عند النّاس بسبب كونهم مالكين لها. وقد قدمت الجمال على التّسريح لأنّ الجمال في الإراحة أكثر. إضافة إلى هذا المشقّة الّتي يتحمّلها الانسان لولا وجود هذه الأنعام الّتي تخفّف عليه مشقّة السفر والتّنقل. وقال في موضع آخر: وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (8) ففي هذه الآية ذكر الحيوانات الّتي تستعمل للرّكوب والزّينة بصريح العبارة والمتمثّلة في الخيول والبغال والحمير. أمّا في قوله (ويخلق ما لا تعلمون) ففيه إشارة إلى كلّ ما خلقه اللّه تعالى من حيوانات، وقد ذكرها على وجه الإجمال، وذلك نظرا لكثرتها. فاللّه تعالى "لمّا ذكر أوّلا الحيوانات الّتي ينتفع الانسان بها انتفاعا ضروريّا وثانيّا: أحوال الحيوانات الّتي ينتفع الانسان بها انتفاعا غير ضروري بقي القسم الثالث من الحيوانات وهي الأشياء الّتي لا ينتفع الانسان بها في الغالب فذكرها على سبيل الإجمال...وذلك لأنّ أنواعها وأصنافها وأقسامها كثيرة خارجة عن الحدّ والإحصاء. (الرازي ف.، 1981، صفحة 236)

«وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ» الآية 66: سورة النحل.

تبرز الآية وجها من وجوه قدرة اللّه تعالى، يتمثّل في الأنعام. فهي موعظة، ويرزق منها عباده لبنا صافيّا خالصّا، لذيذا مذاقه. وهذا وجه من وجوه حكمة اللّه في خلقه وعظمة قدرته. وقال كذلك: «وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ» الآية 80: سورة النحل

تتحدّث الآية عن نوع آخر من النّعم وهي نعمة البيت والسّكن، فهو مصدر للأمن والسّكينة. كما جعل من جلود الحيوانات بيوتا يمكن حملها والتّنقّل بها يوم السفر، نظرا لخفّتها. كما يستفيد منها بالإقامة فيها وقت الاستقرار، فهي مناسبة للحلّ والتّرحال. وهذه الآية توّضح أنّ الانسان يتفاعل مع بيئته، حيث يستفيد من كلّ ما سخّره له اللّه تعالى من الأنعام. فهي توفّر له المسكن المريح، والحمل الخفيف في حلّه وترحاله. وطعامه وشرابه ولباسه وحتى في مسكنه. وهذا وجه من وجوه التّوازن البيئيّ، أين يستفيد الانسان من الحيوان دون أن يلحق ضررا بالبيئة. كما أنّ استخدام الموارد الطّبيعيّة تؤثّر إيجابا على صحّة الانسان. فهي لا تلحق أيّ ضرر بالطبيعة، لأنّها صديقة البيئة.

تؤكّد هذه الآيات على أنّ:

-الانسان جزء لا يتجزأ من البيئة.

-الدور الحيويّ للحيوانات في حياة الانسان.

«وأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68)ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» الآية 69: سورة النّحل.

أكّد الرّازي في تفسيره لهذه الآية أنّ الله تعالى ألهم في نفس هذا الحيوان الأعمال العجيبة الّتي يعجز عن القيام بها أعقل البشر. فهي تبني بيوتا مسدسة ومن أضلاع متساوية. فإهداء ذلك الحيوان الضّعيف إلى هذه الحكمة الخفيّة والدّقيقة اللّطيفة من الأعاجيب. كما أنّ النّحل يحصل على واحد يكون رئيسا على البقيّة، ويكون أعظم جثّة من الباقي. وينفّذ حكمه على البقيّة، فيخدمونه ويحملونه عند الطّيران. وحين تفرّ من وكرها ذهبت مع الجمعيّة إلى موضع آخر، فإذا أرادوا عودتها إلى وكرها، ضربوا الطنبور والملاهي وآلات الموسيقى، وبواسطة هذه الألحان يقدرون على ردّها إلى وكرها. "سمي هذا الحيوان نحلا، لأنّ اللّه نحل النّاس العسل الّذي يخرج من بطونها." (الرازي ف.، تفسير الفخر الرازي، صفحة 72) فاللّه ألهم النّحل بأن تبني بيوتها في الجبال والأشجار وكلّ ما يصنعه الانسان ويتوافق مع مصالحها ويليق بها. كما أمرها بالأكل من كلّ ثمار الأرض، حيث تجمع الرّحيق من الأزهار وتتغذي بها، وتخزّن ما يفضل لها. كما أمرها بأن تسير في الطّرق السّهلة الّتي خلقها اللّه تعالى. ولهذا تسلك الطرّق السّهلة والمنظّمة لجمع الغذاء. والذي به يتكوّن العسل في بطونها، وتضعه في الخلايا. وتختلف ألوانه وتتعدّد باختلاف نوع رحيق الأزهار. ومن خصائص هذا العسل أنّه فيه شفاء. وتوصّل الرّازي إلى أنّ الله تعالى وصف العسل بثلاث صفات وهي: أوّلا كونه شرابا، وثانيّا كونه مختلف الألوان فمنه الأحمر والأبيض والأصفر. وثالثا فيه شفاء للنّاس. وهذا كلّه دليل على عظمة الخالق.

«أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» الآية 79: سورة النّحل.

عن وجه آخر من وجوه قدرة اللّه تتحدّث هذه الآية، فقد خلق الطير وجعل له جناحين تمكّنه من الطّيران. وقد "أضاف الله تعالى هذا الإمساك إلى نفسه، لأنّه تعالى هو الّذي أعطى الآلات الّتي لأجلها يمكن الطير من تلك الأفعال، فلمّا كان تعالى هو المسبّب لذلك لا جرم صحّت هذه الإضافة إلى اللّه تعالى." (الرازي ف.، تفسير الفخر الرازي، صفحة 93) وقد خصّت هذه الآية بالذّكر، المؤمن.

نلاحظ من خلال الآيات الّتي نحن بصدد دراستها في ضوء النّقد البيئيّ أنّها تشترك في كون الحيوان مورد طبيعيّ سخّره اللّه لخدمة الانسان. حيث ذكرت منافع الأنعام من حيث الغذاء واللّباس. ودورها في حركة النّقل. وتأثيرها الجماليّ على المنظر الطّبيعيّ. وعليه فالأنعام تمثّل جزءا من منظومة اقتصاديّة. كما تشير الآيات إلى التّنوّع الحيوانيّ وكذلك دقّة اللّه في خلقه لنظام بيولوجيّ، حيويّ يسعى إلى حفظ التّوازن البيئيّ. فإلى جانب الأنعام، خلق اللّه تعالى حشرة معجزة في نظامها وانضباطها. وبواسطتها تستمرّ حياة النّبات، وتنتج شرابا طبيعيّا، شافيّا من رحيق الأزهار. وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على تبادل العلاقات بين الكائنات الحيّة. والمنظر الخلاّب الّذي تشكّله الطّيور وهي تحلّق في السّماء.

نتوصّل إلى أنّ الحيوانات والنّباتات والحشرات تشكّل نظاما مترابطا، يسهم في استمراريّة الحياة في الطّبيعة، خدمة للكائن البشريّ. وهذا وجه من وجوه التّكامل البيئيّ في النّص القرآنيّ.

- ✓ **الماء والنّبات ودورهما في استدامة البيئة:**

قال اللّه تعالى:

«هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ (10)يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (11)» الآيتان: سورة النّحل

«وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ» الآية 65: سورة النّحل

تظهر لنا الآيات أنّ الله عزّ وجلّ أنزل من السّماء غيثا أحيا به الأرض بعد جفافها، ونبت الزّرع والشجر والثّمار. وهذا برهان على قدرة الله تعالى. وركّز الله على السّماع، لأنّ السّماع بالقلب هو السّماع الحقّ.

وهذا ما يؤكّد على أنّ أهميّة النّباتات تقع بعد الحيوانات، فبعد أن ذكر لنا اللّه تعالى في الآيات الأولى منافع الحيوانات، انتقل في هذا الموضع إلى أهميّة النّباتات والماء والّذي بثّ فيه اللّه بفضل قدرته سرّ هذا الوجود. "فلمّا قرّر الله تعالى الاستدلال على وجود الصّانع الحكيم بعجائب أحوال الحيواناتِ أتبعه في هذه الآية بذكر الاستدلال على وجود الصانع الحكيم بعجائب أحوال النّبات." (الرازي ف.، تفسير الفخر الرازي، صفحة 238) فجعل اللّه تعالى السّحاب مصدر الماء، والّذي بدوره يجعل من كلّ شيء حيّا. ينتفع به الانسان في شرابه وكلّ الكائنات الحية بما فيها النّبات؛ "أي في الشجر ترعون مواشيكم: يقال أسمت الماشيّة إذا خليتها ترعى،..." (الرازي ف.، تفسير الفخر الرازي، صفحة 239)

وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ الآية 67: سورة النّحل

وينتقل بعدها الله في هذه الآية إلى ذكر النّباتات الّتي تسبّب في وجودها المطر، فسخرها الله للإنسان من زرع وزيتون ونخيل وعنب ونباتات أخرى أجملها في لفظ الثمرات لكثرتها. وللإشارة فقط أنّ هذه النباتات تحتوي على مكوّنات صحيّة يستفيد منها الجسم، حيث يتغذى به عقله، وتستقرّ بها نفسيّته، وحياته الروحيّة في حالة ما إذا تناولها متّبعا سنّة نبيّنا الكريم محمّد صلى الله عليه وسلّم. هي نباتات تسهم في تحقيق توازن الكائن الحيّ في الطّبيعة.

بيئيّا، الماء هو سرّ الحياة. فهي مرتبطة به. فكلّ عنصر من عناصر البيئة من تربة ونبات وحيوان وانسان يحتاج إليه. وهذا ما يؤدي بنا إلى القول بأنّ الماء هو محرّك دورة الكائنات في الطّبيعة، لذا فأي خلل فيه كالجفاف أو الاستعمال اللّاعقلانيّ ينجرّ عنه اختلال التّوازن البيئيّ. وفي الآيات دعوة ضمنيّة إلى حسن استغلال الماء.

✓ **متفرّقات:**

قال اللّه تعالى: «وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ (12)وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ (13) » الآيتان: سورة النّحل.

خلق اللّه عزّوجلّ اللّيل وجعله للنوم والرّاحة ليستجمع الانسان قواه. وخلق النّهار وجعله للّسعي لطلب الرزق. والشّمس لتضيء الأرض، وبحرارتها تنمو مختلف الكائنات الحيّة. والقمر ينير الأر ض في اللّيل ويسهّل عمليّة حساب الأشهر وكذلك النّجوم، يهتدي بها الانسان في مسيراته. وكلّ هذا خلقه الله لخدمة الانسان. ولا يعرف قدر هذه المخلوقات، إلاّ من تفكّر وتأمّل في قدرة اللّه. أمّا الغافل فلا يلفت انتباهه كل هذا العطاء والسّخاء والنّعم الّتي رزق بها اللّه عباده. وأكّد الرّازي على أن اللّه تعالى "سخّر للنّاس هذه الأشياء وجعلها موافقة لمصالحهم حال كونها مسّخرة تحت قدرة اللّه تعالى وأمره وإذنه." (الرازي ف.، تفسير الفخر الرازي، صفحة 4)

كما أكّد اللّه عزّ وجلّ أنّ كلّ ما خلقه في هذه الأرض (من نبات وحيوانات وغيرهما) بمختلف أنواعه وأشكاله هو برهان قاطع ودليل واضح على قدرة اللّه ونعمته وفضله للعبد الّذي يتفكّر ويتذكّر. وقال اللّه تعالى في موضع آخر:

«وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ» الآية : سورة النّحل (14) ومن نعم اللّه على عباده أن سخّر لهم البحر وما فيه، فقد ذكر اللّه في هذه الآية اللّحم، والحليّ كاللّؤلؤ والمرجان. وأمّا عن (مواخر) فقد استند تفسير الرّازي على قول ابن عباس أي جواري، إنّما حسن التفسير به، لأنّها تشقّ الماء إلاّ إذا كانت جارية. وقوله تعالى (ولتبتغوا من فضله) يعني لتركبوه للتّجارة فتطلبوا الرّبح من فضل اللّه، وإذا وجدتم فضل اللّه تعالى وإحسانه فلعلّكم تقدمون على شكره. (الرازي ف.، تفسير الفخر الرازي، صفحة 7)

«وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ (15)وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ (16)أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17)وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ (18)» الآيات: سورة النحل

المشهور لدى الجمهور في تفسير هذه الآية أنّ اللّه تعالى لمّا خلق الأرض على وجه الماء اضطربت ومادت، فخلق اللّه تعالى عليها هذه الجبال الثّقال فاستقرّت على وجه الماء بسبب ثقل هذه الجبال. (الرازي ف.، تفسير الفخر الرازي، صفحة 8) والأنهار لينتفع بها العباد، وطرقا ليسر فيها، ويهتدوا بها في سفرهم.

ثمّ يؤكّد الله عزّ وجلّ على أنّ "من يخلق هذه الأشياء العظيمة ويعطي هذه المنافع الجليلة كيف يسوّي بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التّسميّة باسم الإله، وفي الاشتغال بعبادتها والإقدام على غاية تعظيمها. (الرازي ف.، تفسير الفخر الرازي، صفحة 12)

فالآية تتضمن امتناع التّسويّة بين من يخلق ومن لا يخلق. أفلا يتفكّر الانسان في الفرق بينهما؟ فاللّه أنعم عباده بعدّة نعم يعجز الانسان على عدّها، نظرا لكثرتها. لذا يجب عليه شكر الله فهو والغفور لعباده الرّحيم بهم. "فالطّريق إليه أن يشكر اللّه تعالى على جميع نعمه مفصلها ومجملها، فهذا هو الطّريق الّذي به يمكن الخروج عن عهدة الشّكر." (الرازي ف.، تفسير الفخر الرازي، صفحة 14)

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلٰٗلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ الآية 81: سورة النّحل

وهنا يذكر اللّه تعالى ما خلقه من لخدمة الانسان وراحته، حيث جعل له أماكن للظّل ومن الجبال أماكن ليحتمي بها من الحرّ. وجعل له ملابس تقيه من الحرّ ومن القتال. وبهذا يتمّ الله نعمه على الانسان في الحياة. وما يجدر به هو الاعتراف بها وطاعة الله وشكره. تترجم هذه الآية بوضوح العلاقة التّي تجمع بين الانسان والطّبيعة. فذكرت عناصر طبيعيّة كالظّلال والجبال باعتبارها موارد تسهم في توفير العيش الكريم للانسان. فالظّل مثلا يعدّ وسيلة طبيعيّة تخفّف حرارة الشّمس. وهذا ما يؤكّد على الدّور الحيويّ للغطاء النّباتيّ، ما يؤدّي إلى تحقيق توازن المناخ. ومن هذا المنطلق نؤكّد على أنّ لعناصر الطّبيعة دور في المحافظة على حياة الانسان. وهذا ما يشير إلى وجود ترابط وتكامل وانسجام بين الانسان والبيئة. وهذا ما يتوافق ونظرة النّقد البيئيّ الّتي تؤكّد على ارتباط الانسان ببيئته.

وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ (49)يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ (50) الأيتان: سورة النحل

ذكر الرازي في تفسيره لهذه الآية "أنّ السّجود نوعين: سجود هو عبادة كسجود المسلمين للّه تعالى، وسجود هو عبارة عن الانقياد للّه تعالى والخضوع." (الرازي ف.، تفسير الفخر الرازي، صفحة 48) فاللّه تعالى يؤكّد في هذه الآية على أنّ كلّ الحيوانات الموجودة على هذه الأرض منقادة للّه تعالى. من الدّواب والملائكة. أمّا في قوله (يخافون

ربّهم من فوقهم) فقد بيّن الرّازي أنّ هذه الفوقيّة عبارة عن الفوقيّة بالرّتبة والشرف والقدرة والقوّة. كما تتضمّن الآية دلالة الإنقياد للّه تعالى خالق هذا الكون. ويطبّقون كلّ أوامره.

«إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ» الآية 90: سورة النّحل

يأمرنا اللّه تعالى في هذه الآية بثلاث صفات هي العدل والإحسان وصلة ذي القرابة. وينهانا عن الفحشاء والمنكر والظّلم. وتعدّ "أجمع آية في القرآن لخير وشرّ" (الرازي ف.، تفسير الفخر الرازي، صفحة 103) ونعتقد أنّ هذه الآية تتضمّن دستورا أخلاقيّا، يشمل العدل في استخدام الموارد الطّبيعيّة وتوزيعها، والإحسان في التّعامل مع كلّ عنصر من عناصر الطّبيعة على اختلافها كالمحافظة على الماء والأشجار ورفض الظّلم الّذي يقع على الطبيعة ويورث فسادا في الأرض كقتل الكائنات الحيّة. فمبادئ النّقد البيئيّ تتلائم وهذه الآية، إذ يمكن أن فهم العدالة والإحسان والنّهي عن الفحشاء والمنكر والبغي نوعا من الظّلم البيئيّ، فلا ينبغي على الانسان أن يعثّ فسادا في الأرض بأي شكل من الأشكال.

«وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ» الآية 112: سورة النحل

يضرب الله تعالى في هذه الآية مثال القرية الّتي كانت في نعمة الأمن والرخاء والرزق الوافر، جاحدة لنعم اللّه عليها وكفرت. وبسبب كفرها ألبسها اللّه الجوع والخوف؛ أي أحلّ بها الجوع بعد الوفرة، والخوف بعد الأمن. وبالموازاة مع النّقد البيئيّ يمكن أن نفهم هذه الآية على أنّ سوء استغلال الموارد الطّبيعيّة والإفساد في الأرض يؤديان لا محالة إلى أزمات كنقص الغذاء واضطراب نمط العيش. وهذا ما يحدث خللا في النّظام البيئيّ، وينعكس سلبا على حياة الانسان.

بيئيّا، من خلال جلّ هذه المتفرّقات نتوصّل إلى أنّ كلّ ما خلقه اللّه تعالى في هذا الكون إنّما سخّره لخدمة الانسان، ولعلّ هذه الآيات أكّدت على ترابط وتكامل كلّ عنصر من عناصر الطّبيعة. كما أنّ التّنوّع البيولوجيّ يسهم في دعم الاستقرار البيئيّ. وأنّ الموارد الطّبيعيّة يجب أن تستغلّ بعقلانيّة، وتوزّع بطريقة عادلة لاستدامتها. ويجب على الانسان أن يقدّر فضل اللّه عليه.

"ويبدو أنّ اللّه خلق مخلوقات الأرض الحيّة، قبل خلق الانسان، فجعل في الأرض بحارها وأنهارها، وأنزل عليها أمطارها، وأنبت فيها نباتها وأشجارها، ثمّ خلق فيها حيواناتها وحشراتها، وزواحفها وطيورها، وبذلك استقرّت الحياة عليها، تمهيدا لاستقبال الانسان الخليفة" (الخالدي، القصص القرآني، 1998، صفحة 81)

خاتمة

لم ترصد الدّراسة التّطبيقيّة لسورة النّحل مظاهر البيئة فحسب، بل جسّدت فعليّا مبادئ النّقد البيئيّ. ما يؤكّد على أنّ القرآن الكريم –تحديدا سورة النّحل- يعدّ منبعا هاما لتوليد مفاهيم النّقد البيئيّ.

تقدّم هذه الدّراسة تصوّرا ربّانيّا، بيئيّا، متكاملا، مؤسّسا على التّفكير والتّدبّر في نعم اللّه على عباده ووجوب شكره. ساعيّا إلى تنظيم علاقة الانسان بطبيعته، وفق مبادئ شرعيّة من شأنها أن تضمن استقرار التّوازن البيئيّ.

كما أكّدت الدّراسة على أنّ القرآن الكريم كان سبّاقا في بلورة معالم نظريّة النّقد البيئيّ. حيث برهنت السورة على أنّ الاستدامة الحقّة تتعلّق بالانسان أكثر ممّا تتعلّق بالمورد، فسلوكاته هي الّتي تحدّد مصيرها. كيف لا وهو خليفة في الأرض لا مالكها؟

قائمة المراجع:

-القرآن الكريم.

-**الخالدي ,ص .(1998) .*القصص القرآني*، ط1، دمشق :دار القلم.**

-**الرازي ,ف .ا .(1981) .*تفسير الفخر الرازي*، ط1، لبنان :دار الفكر.**

-**جرارد ,ج .(2009) .*النقد البيئوي*، ط1، الإمارات العربية المتحدة :هيئة أبو ظبي.**

-**حافظ ,ع .ج .(2023) .*النقد البيئي ونظرية الأدب*، ط1، عمان :دار كنوز المعرفة.**